الفتاة القروية

للقصصي الروسي بوشكين

بقلم السيد عز الدين عزوزي

يقع منزل « إيفان برستوف » فى إقليم من أقاليم روسيا النائية ، وكان هذا الرجل يشتغل فى أيام شبابه فى حراسة القيصر ، ولكنه ترك هذا العمل فى أوائل عام ١٧٩٧ ، وجاء إلى أراضيه وأخذ يعمل فى إحيائها ويقضى فيها ما تبقى من أيام حياته

كانت زوجته سيدة نبيلة ، ولكنها فقيرة ، وقد توفيت أثناء رحلة كان رحلها فى سهوله الواسعة. وبعد أن نسى الحزن الذي تركه فقدها فى نفسه شيد منزلاً فخماً ومصنعاً للأقمشة ، وصار بذلك الرجل المحترم والسيد النبيل فى ذلك الاقليم ؛ وكان نزول الجيران ضيوفاً عليه مع أولادهم وكلابهم مما يؤكد فى نفسه هذه المنزلة ويثبتها

أما ما يلبسه طيلة الأسبوع فهى صدارة من القطيفة أرجوانية اللون ، وفى أيام العيد « رداء جوت » من صنع مصنعه

كان « برستوف » محبوباً من أهل قريته رغم مظهره المتكبر ، وتقطيبه الطويل ؛ ولكن « مورمسكى » أقرب جيرانه إليه لم يكن يحبه ، ولا يستطيع محادثته أو الاجتماع به ، لأن « مورمسكى » يرى أنه أرفع منه قدراً ، وأعظم جاهاً ، وهو الآن أرمل قد بذر القسم الأكبر من أمواله فى « موسكو » وجاء الآن ليقيم فى بيته القروى آخر ما تبقى له من العقار ؛ وكان فى أخلاقه شذوذ غريب ، فهو ينفق كثيراً من دخله على حديقة يزرعها على « الطريقة الانكليزية » ولا يرضى بأن تكون مربية ابنته إلا آنسة انكليزية المحتد ، ولا يزرع حقوله الشاسعة إلا على الطريقة الانكليزية ، « ولكن القمح الروسى لا يؤتى أكله إذا زرع على الطريقة الانكليزية »(١) ومقابل هذا النقص المتواصل فى أحواله فان مدخوله لم يزد مطلقاً على ما كان عليه منذ زمن بعيد . وهو رغم إقامته فى تلك القرية المتواضعة لم يستطع العيش دون أن يستدين بالربا الفاحش ؛ وعلى كل حال فقد كان رجلاً محترماً يوقره الكبير والصغير

كان « برستوف » شديد القسوة في معاملة منتقدى عاداته وأخلاقه ، وكان يجد فى عادات جاره المتفرنج مجالا واسعاً للتهكم والسخرية ! وإذا أحب أحد ضيوفه البذخ والترف خاطبه وفى ثغره ابتسامة ماكرة خبيثة قائلا له : « إنك هنا غير ما لو كنت عند جارى مورمسكى ، فأنا لا أحب أن أقلد الانكليز فى معيشتهم فأتلف بذلك أموالى . يكفينى ما أنا عليه ، وما كان عليه آبائى الكرام . » وكان بعض الجيران ينقل إلى « مورمسكى » ما يقوله عنه جاره ، ولكنهم لا ينقلون ما قاله « برستوف » فقط ، بل يزيدون فيه كثيراً ويجعلون من الحبة قبة حتى ان « مورمسكى » تهيج ثائرة نفسه فيأخذ فى سب جاره وشتمه ورميه بأبشع الصفات كأن يقول عنه إنه « دب » وإنه رجل قروى ابن قروى !

هكذا كانت العلاقات بين الجارين عند ما جاء

(١) مثل روسى

« الكسي » إلى قرية أبيه، بعد أن تخرج من الجامعة وكان يميل إلى الدخول فى المدرسه الحربية رغم أن ذلك الميل كان مما لا يحبه أبوه ، وظل كل متمسكا برأيه لا يلين لإرادة الآخر ، وعبثا حاول والده إقناعه بأن العمل فى دواوين الحكومة خير من العمل فى الجندية ، ولكنه صمم أخيراً أن يترك الأيام تفعل ما تشاء ، فلم يذهب إلى المدرسة الحربية ولم يعمل فى دواوين الحكومة ، وإنما ظل فى منزل أبيه يحياحياة بوهيمية ، وترك العنان لشاربيه فنموا نمواً هائلا وانتشرا فى كل صوب .

كان « الكسي » ولد « ايفان برستون » شابا لطيفاً ذا قامة رشيقه متماسكة الأطراف جديرة بأن تمارس الأعمال الحربية ، ومانظر إليه أحد وهو على صهوة جواده إلا اختار له أن يكون فى الجيش أو فى ساحة الحرب . ولم يقل أحد من الناس إن هذا الشاب القوى خليق بأن يجلس وراء مكتب الديوان طيلة يومه . وكانت صبايا القرية لا يملن النظر إليه والحديث عنه ، وهو غير مكترث بهن لا يلتفت إليهن ولا يلقى عليهن تحية، فزعمن أنه مأخوذ بحب فتاة فى موسكو . وقالت إحداهن : لقد رأيته يضع رسالة فى البريد مكتوبا على ظهرها « إلى الآنسة اكولينا بتروفنا كورنشكينا فى موسكو . »

* * *

إن الذين لم يسعدهم الحظ بأن يعيشوا زمنا فى القري لا يمكنهم أن يدركوا ما عليه أولئك الفتيات من الجمال . انهن يمشين فى الهواء الطلق وفى ظلال التفاح ولا يعرفن العالم والحياة إلا من وراء الكتب التى تصل إلى أيديهن ؛ وإن الوحدة والحرية والمطالعة تنمى فيهن شعوراً وأهواء ، وتخلق منهن فتيات أين منهن فتيات المدن فى جالهن الرائل ، وشعورهن النذل وأهواؤهن المتطرفة .

إن دقات الناقوس يوم الأحد تخلق فى مخيلتهن حوادث شتى ، وان رحلة يقمن بها إلى القرية المجاورة لقريتهن هى يوم من أيام فى حياتهن يؤرخن به حوادث المستقبل وسوالف الماضى ، وإن نزول ضيف عليهن يترك فى نفوسهن ذكرى خالدة تنزل معهن إلى القبر .

كثير من الناس من يجد فى عادات أهل القرى مجالا واسعاً للسخرية والتهكم ، ولكن رأى هؤلاء الناس سيظل دون أى تأثير على الحقائق الواقعية التى قوامها عند هذه النفوس البريئة : الأخلاق ، والسعادة الفردية التى لولاها لم يكن للانسانية عظمة تفاخر بها عن جدارة واستحقاق !

إنه لمن السهل أن تجد فى المدن والعواصم نساء هن على قدر عظيم من الثقافة ، ولكن الحياة سوت بين هذه الفوارق وجعلت قيمة المرأة بمقدار جمالها وزينتها

* * *

يا قارئى المحبوب ، من اليسير عليك أن تدرك أى تأثير كان لألكسي في نفوس هؤلاء الفتيات، فقد كان أول شاب رأين فيه من النموض ما لم يستطعن فهمه ، ومن الكآبة ما لم يدركن كنهها. والمرة الأولى تحدث هؤلاء الفتيات عن الأفراح المولية ، والشباب الذابل ، والأمل المفقود !

كان الكسي يلبس فى خنصره خاتماً أسود عليه صورة رأس رجل ميت ، فكان ذلك الخاتم يسترعى أنظار أهل القرية ، ويجعل الفتيات أكثر تعلقاً به وشغفاً إلى معرفته . أما التى أولعت به ولوعا

جداً فهي ابنة جاره الذي كان يحب أن يعيش على النمط الانكليزي واسمها « ليزا »

لم تر « ليزا » حتى الآن وجه ألكسي رغم أن الفتيات رأينه كلهن . كانت ليزا في السابعة عشرة من عمرها ذات عينين فيهما دعج يزيد في جاذبية وجهها الأسمر ، ولم يكن لأبيها خلف غيرها فكانت لذلك مدللة منه محببة إليه ، حتى أودى هذا الدلال بكثير من خصالها الجيدة . وكانت في حيويتها تسحر والدها فلا يدري بأي شيء يزجرها إذا أخطأت أو يكافئها إذا أحسنت ؛ وكادت مربيتها « مس جوكسون » تخرج عن طورها المعتاد رغم وقارها الملتزم وسنها الكبيرة . كان وجه هذه المربية كأنه مطلو بطلاء أبيض ، وعيناها كأن بهما كحلا أحمر ؛ وكان عمل هذه المربية أن تقرأ ال:Pamélat[1] مرتين في السنة ، وتتقاضى أجراً على هذا العمل مبلغاً قدره ألفان من « الروبلات » في السنة ، وهي رغم ذلك تزعم أنها ستنفجر من الضجر لوجودها في هذه البلاد البربرية

أما خادمة ليزا فاسمها « ناشيا » ، وهي فتاة تكبر بقليل سيدتها التي كانت تحبها حباً جماً وتبوح لها بكل أسرارها ، فلا تقوم بأي عمل دون أن تشاطرها رأيها فيه . وبالاختصار كانت « ناشيا » تمثل دوراً في (أمانة السر) لم نقرأ مثيله في أية مأساة فرنسية

* * *

قالت ناشيا وهي تلبس سيدتها ثوبها : أتأذنين لي بالخروج في هذا اليوم يا سيدتي ؟

— نعم ولكن أين تريدين الذهاب ؟

— إلى قرية (نو چيلومُـو) عند جيراننا آل « برستوف » ، فاليوم حفلة زفاف زوجة الطاهي ، ولقد جاءت البارحة ودعتنا لتناول طعام الغداء عندها

— إن أصحاب المنزل سيختلون مع ضيوفهم في غرف وحدهم ، وسيقرع الواحد منهم كأسه بكأس صاحبه ، فاذا كنت تودين الذهاب فاسألي والدي أن يسمح لك بذلك

— ما الذي يعنيني مما سيفعله أصحاب المنزل ؟ وأنا لك وحدك ولست لأبيك ، لندع الشيوخ الكبار عند مضيفنا يتنازعون ويعملون وحدهم ما يحبون

— لا بأس ، ولكن رجائي إليك أن تنظري « الكسي برستوف » جيداً وأن تخبريني عما ستجدين فيه من الصفات والخصال ساعة تعودين إليَّ

خرجت ناشيا وهي تعد سيدتها بأن تقوم بما طلبته منها . وظلت ليزا تنتظر عودتها طيلة النهار بفارغ الصبر . ولما عادت في المساء إلى غرفة سيدتها قالت لها : لقد رأيت الكسي الشاب واجتمعت به مدة طويلة وظللت معه طيلة النهار

فأجابتها سيدتها : وكيف كان ذلك ؟ تعالي قصي علي الخبر من أوله إلى آخره

— نعم يا سيدتي ، ذهبت في الصباح أنا و « أنيا » و « نانيلا » و « دونكا » ...

— نعم ... نعم ، أعرف ذلك ، ثم ماذا حدث ؟

— اسمعي يا سيدتي ، إني أحب أن أسرد عليك الحادثة من أولها . وصلنا عند الغداء تماماً ، وكانت الغرفة غاصة بالزائرين والزائرات وكان بينهم زوجة

---

(١) رواية شهيرة للأديب الانكليزي « ريكاردسن » تجيش بالعاطفة والأخلاق وتدور في موضوعها على خادمة فتية تنصر فضيلة نفسها على مكايدها السافلة ، وهي من أول ما وضع في القصص الحديث

« كلينو » وزوجة « زكهاريفو »

— والكسى برستوف ألم يكن بينكم ؟

— نعم ، ولكن لماذا تعجلين ؟ جلسنا إلى المائدة ، وجلست زوجة المدير فى الصدر وجلست أنا إلى جنبها فأخذ بناتها ينظرن إلي نظرات الحسد ولكنني لم أبال بهن

— إن هذه التفاصيل تزعجنى « يا ناشيا »

— ماأسرع ماتضجرين ياسيدتى ! ثم خرجنا من الغرفة بعد أن مكثنا فيها ثلاث ساعات ، حقاً لقد كانت مائدة فاخرة ، وبعد ذلك ذهبنا إلى الحديقة نلهو ونلعب وهناك رأيت الشاب ...

— هل هو جميل كما يقولون عنه ؟

— بل أكثر من ذلك ، إنه فوق ما تتصورين يا سيدتى ، إنه شاب جميل ، طويل القامة ممتلىء الجسم وردى الخدين ...

— وهل كنت أتصوره أصفر اللون هزيلا ؟ ولكن أريد أن تصفى لى مظهره ، هل هو حزين ؟ هل هو كثير التفكير والتأمل ؟

— أتظنين ذلك ؟ إننى لم أر فى حياتى كلها أكثر منه نشاطاً وحيوية . لقد ظل يركض ويلعب معنا طيلة اليوم ...

— ظل يركض ويلعب معكن طيلة اليوم ؟ إن هذا غير ممكن ! ...

— لماذا يا ترى ؟

— إذن قولى ماتريدينه « يا ناشيا » ماأراك إلا كاذبة

— ظنى بى ما تشائين ولكنى لا أكذب قط

— لماذا يقولون عنه إنه عاشق وإنه لا يلتفت إلى أحد وإنه وإنه ...

— هذا مالا أعرفه ياعزيزتى . كل الذى أستطيع أن أقوله لك هو أنه استرعى انتباهي وانتباه « تانيا » وابنة المدير

— إن هذا مما يثير فضولى يا عزيزتى ناشيا ، ماذا كان الناس يقولون عنه ؟

— كانوا يقولون إنه رجل طيب القلب كثير المرح ، نشيط ، ولم يلوموه إلا على شيء واحد : كثرة حبه للخادمات واتباعه لهن . ولكننى لا أرى فى هذا العمل ما يستحق اللوم . لا بد أنه سيهدأ فى يوم من الأيام

— « آه . . . ما أشد تشوق إلى رؤيته » قالتها وهى تتنفس الصعداء

— ما الذى يمنعك من ذلك يا عزيزتى ؟ إن قرية « نوجيلومشو » قريبة منا ، وإذا قمت بنزهة فى نواحى هذه القرية ، فأنا متأكدة من أنك ستجتمعين به ، إنه يخرج كل يوم إلى الصيد فى الصباح الباكر وهو متأبط بندقيته

— أتظنيننى أقوم بهذا العمل لكى يحسب أننى أحبه ؟ وهل نسيت ما بين أبى وأبيه من خلاف وعداوة ؟ أتدرين ماذا سأفعل يا ناشيا ؟

ما رأيك إذا لبست ثياب قروية وخرجت للاقائه ؟

— والله إنها لفكرة حسنة . البسى ملاءة من قماش سميك ، واذهبى دون أن تخافى إلى قرية « نوجيلومشو » وأنا متأكدة من أن الكسى سيعجب بك ، وأنه سيحبك

— وأيضاً أستطيع أن أتكلم بلهجة هذه القرية ! إنها يا ناشيا فكرة حسنة

نامت « لبزا » ليلتها تلك وهى مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه مع خادمتها . وفى الصباح

أرسلتها إلى السوق لتشتري لها قماشاً سميكاً كالذى تلبسه الفرويات ، أزرق اللون ، وأزراراً مصنوعة من قماش أصفر ، ثم ساعدتها ناشيا على تفصيل الملاءة ، وعملت جميع الخادمات فى خياطتها ، ولم يأت المساء حتى كان كل شيء جاهزاً

فأخذت «ليزا» ثوبها الجديد بين يديها وتأملته ثم لبسته ونظرت إلى نفسها في المرآة ، فوجدت أنها لم تكن فى حياتها أجمل مما هى عليه الآن ، وابتدأت تتمرن على تمثيل دورها فألقت تحية فى صوت خافت وهى سائرة ، ثم رفعت رأسها إلى جهة اليمين ثم إلى جهة الشمال وتكلمت كما تتكلم الفرويات ، وأخذت تضحك ، وسترت وجهها بطرف كمها

كان يزعجها فى هذا التمثيل شيء واحد ، هو أنها لم تستطع أن تتحمل وخز الأعشاب الشائكة ولا وخز الحصى الدقيق فى حديقة الدار . وهنا أيضاً جاءت « ناشيا » لمساعدتها فقاست طول قدمها وأخذت تبحث عن « روفيم » الراعى ، وطلبت منه أن يصنع لها زوجاً من الأحذية بعد أن أعطته القياس

قامت « ليزا » فى الصباح الباكر ونظرت فيما حولها فوجدت أن الجميع نائمون ، وأن « ناشيا » واقفة أمام رتاج الباب تترقب قدوم الراعى . وبعد لحظة سمعت صوت مزماره ورأت القطيع يمر أمام القصر ، ثم تقدم الراعى فأعطى ناشيا زوج الأحذية الفروية السميكة فناولته هذه خمسين « كوبك » ثمناً لها ، فانصرف إلى شأنه

أخذت « ليزا » ترتدى ثياب الفرويات فى صمت وهدوء خشية أن توقظ أهلها النائمين ، وهمست فى أذن ناشيا كلمات تتعلق بمربيتها «مس جوكسون» ثم خرجت من باب القصر الكبير واجتازت الحديقة وانطلقت تمدو فى الحقول الشاسعة

* * *

كان الفجر يلمع فى الناحية الشرقية والغيوم الذهبية متراصفة على الأفق كأنما تنتظر مطلع الشمس ، والسماء الصافية ، وبرودة الصباح ، والندى والنسيم العليل وصداح الأطيار ، كل ذلك أخذ يملأ قلب « ليزا » سعادة أين منها سعادة العالم كله !

لما وصلت « ليزا » إلى منتهى حقول والدها أخذت تسير على مهل بعد أن كانت مسرعة حتى لو أن أحداً رآها لظنها تطير فى الجو ولا تسير على الأرض . لقد كانت تخشى أن يراها أحد ممن تعرف

وفى هذا المكان جلست « ليزا » تنتظر قدوم الكسى ، فأحست أن قلبها يخفق خفقاناً شديداً ، ولم تستطع أن تجد لهذا الخفقان سبباً ، ولكن ، أليس هذا القلق الذى يصحب فراهة الشباب وطيشه هو السبب الأوحد فى جاذبية المرأة ؟

قامت ليزا من مكانها وسارت إلى ظل غيضة قريبة منها ، ثم شعرت كأنما حولها ضوضاء خفية تحيط بها من كل جانب ، فأخذت سعادتها الأولى تهدأ شيئاً بعد شيء ، ثم شرعت تحلم حلماً عذباً ... ترى نستطيع أن ندرك فى أى شيء تفكر فتاة فى السابعة عشرة من عمرها وهى جالسة وحدها فى غابة من الغابات وفى صباح يوم من أيام الربيع ؟ !

سارت ، وهى فى هذه النمرة الجميلة ، فى طريق ظليل بما حوله من الأشجار الباسقة ، فظهر أمامها فجأة كلب صيد جميل ، وأخذ ينبح ويعدو وراءها ؛ فذعرت «ليزا» وصاحت ، ثم سمعت صوتاً يقول :

لا تخافى ، تعال إلى هنا يا « سبوچار » ، ثم رأت صياداً شاباً يخرج من بين الادغال ويخاطبها قائلاً :

— لا تخافى أيتها الفتاة ، إن كلبي هـذا لا يعض أحداً

شعرت ليزا بالسكون يعود إليها فأحبت أن تستفيد من هذه الصدفة فقالت للصياد بصوت فيه شيء من الخوف والحياء :

— إننى أخاف رغم كل هذا . إن كلبك هذا مخيف ، وأحسب أنه سيلقى بنفسه علىّ ثانية

أخذ الكسى ينظر إلى هـذه القروية نظرة متفرس ، وقال لها :

— إذا كنت تخافين فانني أماشيك إلى حيث تريدين ، أتسمحين لى أن أسير بجنبك ؟

— من الذى يمنعك من ذلك ؟ إنك حر والطريق مشاع للجميع

— من أين أنتِ ؟

— من « پريلوتشن » إننى ابنة الحداد « فاسيلى » ، وقد خرجت لأجمع لوالدى قليلاً من الكمأة !

كانت ليزا تحمل على كتفيها سلة صغيرة مدلاة على ظهرها بحبل ، وهى ممسكة بطرفه الآخر

— وأنت ؟ ألست من قرية « نوجيلومسو » ؟

— نعم ، إننى من هذه القرية وأنا خادم البارون فيها

كان ألكسى يريد من قوله هذا أن ينزل إلى مستواها ، ولكنها نظرت إليه نظرة وضحكت ثم قالت له : « إنك تكذب ؛ لست بلهاء إلى هذا الحد وإننى لا أشك فى أنك ابن البارون نفسه »

— ما الذى جعلك تعتقدين ذلك ؟

— كل ما أراه فيك يدل على أنك ولد البارون

— ... ولكن ... ؟

— أتحسب أننى لا أستطيع أن أميز السيد من الخادم ؟ إن لباسك غير لباسنا ، ولقد كلمت كلبك الآن بلغة غير اللغة الروسية

كان لهذه الكلمات وقع حسن فى نفس « ألكسي » فزاد شغفه بها وتقدم نحوها يريد أخذها بين يديه فارتدت إلى الوراء بسرعة ونظرت إليه نظرات حادة فلم يتمالك ألكسى من الضحك ثم سكت ، فقالت له وهى تلتزم الوقار :

— إذا كنت حقاً تريد أن نكون أصدقاء فكن سيد هواك

فقال لها ألكسى وعلى ثغره ابتسامة ودهش :

— من الذى علمك هذا ؟ هل هى ناشيا خادمة سيدتك ؟ إن أخلاقها الطيبة قد انطبعت فى نفسك صورة ثانية

شعرت ليزا أنها لا تستطيع كتم الحقيقة عنه ، فأرادت أن تخبره عن نفسها من تكون ، ولكنها امتنعت عن ذلك وقالت له :

— هل تحسب أننى لا أعرف كيف أسمع ولا كيف أرى عندما أكون بين أسيادى فى القصر ؟ ؟

ثم أردفت قائلة : ولكننى ما جئت هنا كى أمضي الوقت فى الكلام معك ، إذهب إلى شأنك ، ودعنى أنا أيضاً أذهب ... وداعاً !

نهضت ليزا من مكانها ولم تكد تبتعد قليلا حتى شعرت بأن ألكسي قد أمسك بيدها وقال لها : ما اسمك يا عزيزتي الصغيرة ؟

فأجابته وهى تحاول الافلات من يده :

— اسمى « أكولينا » ، دعنى أذهب يا سيدى ، لقد تأخرت

— إذن سأزور والدك « فاسيلى » الحداد فى الغد

— ماذا تقول ؟ بالله عليك لا تذهب ، إن والدى إذا علم أننى تحدثت معك ، وأننا كنا وحدنا فى الغابة ، فإنه سيضربنى ضرباً مبرحاً

— ولكنى سأجئ لأراك فقط

— إذن سأعود إلى هذا المكان لأجمع الكمأة ! !

— متى ؟ ؟

— إذا كنت تريد فإننى أجئ فى الغد

— فى الغد ياعزيزتى ، أليس كذلك ؟!

— نعم... نعم .

— أحقاً ما تقولين ؟

— صدقنى ياعزيزى

— أقسمى يمينا بالله لتأتين إلى هنا فى الغد .

— أقسم لك بالله

* * *

افترقا . وخرجت ليزا من الغابة واجتازت الحقول الواسعة وهى مسرعة جادة فى سيرها ، ثم دخلت الحديقة فوجدت خادمتها ناشيا فى انتظارها فبدلت لها ثيابها ، وأجابتها ليزا على أسئلتها التى كانت تلقيها عليها جواباً مقتضباً ، ثم دخلت الدار فوجدت الطعام حاضراً وأهلها ينتظرونها ، وكانت مربيتها « مس جوكسون » قد حمرت وجنتيها وشدت مئزرها فبدت كأن جسمها جسم نحلة ، وكانت تقطع الخبز قطعاً دقيقة ، ثم التفت « مورمسكى » والد « ليزا » إلى ابنته وامتدح زهتها التى قامت بها فى الصباح وقال لها : « ليس أحسن للجسم من القيام فى الصباح الباكر » ثم أخذ يسرد على ابنته أخبار المعمرين الذين يقرأ عنهم فى المجلات الانكليزية وأن جلهم من الذين لا يشربون « الفودكا » ومن الذين يقومون باكراً فى الصيف وفى الشتاء ، ولكن ليزا كانت فى شغل عن حديثه فإن ما وقع معها فى الصباح أخذ يعود إلى ذهنها ، وكانت تفكر فى نجاحها ساعة خدعت الكسى وكيف صدق أنها ابنة حداد وأن اسمها « أكولينا » ..: ولكنها شعرت بالندم رغم ذلك النجاح ، وعبثاً حاولت أن تقنع نفسها بأن ماحدث لها سوف لا يتجاوز محله ، وأن ألعوبتها التى قامت بها مع الكسى قد انتهت . لقد كان صوت ضميرها أكثر ارتفاعاً من صوت عقلها . إن موعدها فى الغد يقلق فكرها ، وهاهى ذى تكاد تصمم على أن تخلفه ، لولا أنها ذكرت أن الكسى سوف يبحث عنها فى منزل الحداد ، بعد أن ينتظرها طويلاً فى الغابة ، وأنه سيجتمع بابنة الحداد « أكولينا » صاحبة الوجه الدقيق والجسم الغليظ ، وأنه سيقف على حقيقة هذه المهزلة ! كانت هذه الفكرة تخيف «ليزا» فتتيقن بأن «أكولينا» ابنة الحداد ستخرج فى صباح اليوم التالى بدلا منها إلى الغيضة وأنها ستنتظر « الكسى » وأنه سيحبها ..!

أما الكسى فقد كان مسروراً أى سرور وقد ظل طيلة يومه يفكر فى صديقته الجديدة ، ولما أقبل الليل ظلت صورة الفتاة ذات السمرة الجميلة تغمر أحلامه

لم تكد الشمس تشرق حتى كان الكسى على أهبة الخروج ، فاصطحب كلبه الأمين سبوجار وركض إلى المكان الذى تواعدا على أن يجتمعا فيه

ظل الكسى ينتظر قدوم حبيبته نصف ساعة

وأخيراً شاهد ملاءة زرقاء تلمع بين الأدغال ، فوثب يريد ملاقاة عزيزته « أكولينا » ؛ فضحكت هذه لرؤيته ، ولكن الكسى لم يلبث أن تبين فى وجهها أمارات الاضطراب والحزن ، فأحب أن يعرف سبب ذلك ، فأخبرته ليزا بأن هذه الحرية التى تستعملها فى جميع شؤونها تسبب لها هذا الحزن ، وأنها ندمت على ما بدا منها ، وأنها لم تأت اليوم إلى هذا المكان إلا لتفى بوعدها ؛ وأنها تريد أن يكون هذا الاجتماع هو الاجتماع الأخير ، وقالت له : « أريد منك أن تقطع هذه الصلات التى ربما أوصلتنى إلى ما لا أحبه وأرجوه »

لقد كان لهذه الكلمات على ما فيها من بساطة وقع شديد فى نفس الكسى ، فاستعمل كل ما أوتى من مقدرة وذكاء لكى يرد أكولينا عن عزمها ، وأكد لها أن كل ما قالته إنما مصدره قلبها الساذج وحبها البرىء ، ووعدها بأن يطيعها فى كل شىء وألا يكون بينهما من الصلات ما يجر إليها الندم ، ثم طلب إليها ألا تحرمه السعادة التى يجدها ساعة يجتمع بها ، وطلب إليها أن يراها مرة كل يومين أو على الأقل مرتين فى الأسبوع

كان الكسى فى حديثه هذا صادق السريرة شريف الهوى ، أوفى ما يكون محب لحبيبته ؛ وكانت ليزا مصغية إليه ، ثم رفعت رأسها وقالت : عدنى بأن لا تطالب منى موعداً غير الذى أضربه لك ؛ فهم الكسى بأن يقسم لها يميناً على ذلك ، ولكنها منعته وقالت له ، وهى تبتسم : « لست بحاجة إلى اليمين وإنما وعدك كاف يا عزيزى ... »

عندها أخذا يتحادثان وهما يسيران فى الغابة جنباً إلى جنب ، وبعد لحظة التفتت إليه ليزا وقالت له : « أريد الذهاب » فافترقا

ظل الكسى وحده فى الغابة فأخذ يسأل نفسه كيف أن هذه الفتاة القروية التى لم يجتمع بها أكثر من مرتين استطاعت أن تستحوذ على نفسه وتملك عليه إرادته

كانت علاقاته مع أكولينا لا تزال محتفظة بجدتها وبريقها ، فهو رغم تمنياتها الغريبة لم يخطر له يوماً من الأيام أن يخلف وعده معها . لقد كان الكسى رجلاً ذا قلب نقى يقدر الفتاة البريئة حق قدرها رغم خاتمه الأسود ، ومراسلاته السرية ، ونظراته المبهمة ! !

* * *

لو أننى استمعت إلى ما يوحيه إلىّ ذوقى لما تأخرت عن وصف اجتماعات هذين المخلوقين وصفاً شاملاً ، ووصف حبهما المتواصل ، وثقة كل منهما بالآخر ، وأحاديثهما الشائقة ، ولكنى أخشى أن يوجد بين قرائى الأعزاء من لا يشاطرنى هذا الشعور ، ولكن الغالب فى هذه التفاصيل أنها تافهة ، فما علىّ إذن إلا أن أقول : إنه لم يمر على « الكسى » و « ليزا » شهران حتى كانا متحابين حباً جمًّا ، وأن ليزا رغم ما تبديه من عدم اهتمامها بالموضوع كانت تحب « الكسى » أكثر من حبه لها

لم يفكر أحد منهما فى المستقبل قط ، ولم يخطر لهما أن يحلا هذه المشكلة بالتفكير فى العاقبة ، فالكسى لا يستطيع أن يمحو من فكره أن هذه فتاة قروية ، وأنه سيد شريف ، رغم ما بينهما من حب ، و « ليزا » لم تنس شدة البغض بين والديهما ، وكذلك « الكسى » ، فإنه ما فكر يوماً فى أن

يطلب يدها للزواج ، وهى ابنة الحداد ، وهو البارون النبيل، إلا وشعر بألم يحز فى كبرياء نفسه ؛ ولكن حادثاً جليلا وقع فحسّن مابين هذين الحبيبين من حال

* * *

فى صبيحة يوم من أيام الربيع الباردة خرج «إيفان برستوف» والد ألكسى إلى النزهة والصيد ممتطياً صهوة جواده ، وكذلك شاءت الأقدار فخرج جاره « مورمسكى » والد « ليزا » ، وأمر الخدم فأسرجت له بغلته الانكليزية وراح يطوف على قراه ومساكنه يتفقدها . ولما اقترب من الغابة ، وجد جاره على جواده منتظراً ظهور أرنب من الغابة ، ولو أن « مورمسكى » لمحه من مسافة أبعد من التى بينهما الآن ، لثنى زمام فرسه ، ولعاد أدراجه حتى لا يجتمع به ؛ ولكن أنى له ذلك وهو الآن على بعد خطوات منه ؟ فاضطر «مورمسكى» إلى التقدم نحو عدوه ، وإلى إلقاء التحية عليه ، ولكن رد « برستوف » على تحية جاره كان فيه من اللباقة والظرف أكثر مما فى تحية دب أبيض مطيع لأوامر صاحبه وهو يعرض على جماعة من المتفرجين . وفى هذه اللحظة خرج من الغابة أرنب برى ، وأخذ يعدو فى الحقل فصاح « برستوف » بخدمه وترك الكلاب تعدو وراءه ، ولكن بغلة مورمسكى التى لم تتعود الذهاب إلى الصيد رجعت إلى الوراء وشرعت تعدو ثم وقعت فى حفرة لم ترها فوقع مورمسكى عن ظهرها وسقط على الأرض الباردة بما عليها من جليد ، وظل مستلقياً هناك على ظهره يشتم البغلة التى وقفت عن عدوها لما أحست أن صاحبها قد وقع عن ظهرها . عندها ركض « إيفان برستوف» إلى جاره وعدوه «مورمسكى» قبل أن يصيبه أذى ثم أمر خادمه الذي كان معه فأمسك بلجام بغلته وأعانه على الصعود فوق ظهرها ، ثم اصطحبه « برستوف » إلى قريته ، وهكذا دخل القرية مكللاً بالنصر يحمل معه أرنباً ويصطحب عدوه المجروح كما لو كان أسيراً من أسرى الحرب

كان حديثهما على المائدة فيه كثير من اللطف والمحبة ، وقال مورمسكى لجاره : إن آلامه لا تمكنه من العودة على بغلته فهو يفضل أن يعود إلى القرية فى عربة « برستوف » فاصطحبه « برستوف » إلى خارج منزله ، ولم يدعه مورمسكى يرجع حتى أخذ منه وعداً جازماً بأن يتناول طعام الغداء عنده وأن يصطحب معه ابنه ألكسى فى الغد . هكذا انهار صرح عداوة عميق الأساس بفضل نزوة من نزوات بغلة انكليزية خؤون !

فى المساء ، ركضت ليزا لاستقبال والدها وقالت بدهش : « ما ذا حدث لك يا أبى ؟ لم تظلع فى مشيتك ؟ وأين حصانك ؟ هذه العربة لمن ؟ »

— « إن الذى حدث لى لا يمكنك أن تصدقيه يا عزيزتى » ؛ ثم أخذ يسرد على ابنته الحادثة بحذافيرها ولما انتهى قال : وسأنتظر أصدقائى آل « برستوف » فى ظهر الغد لتناول طعام الغداء معاً

فصاحت ليزا وقد امتقع لونها : « ما ذا تقول يا والدى ؟ إن آل « برستوف » سيجيئون فى الغد لتناول الطعام عندنا ؟ لا ... لا ... يا أبى افعل ما تحب ، أما أنا فانني سوف لا أظهر أمامهم مطلقاً

— لماذا ؟ هل أنت مجنونة ؟ ما إخالك إلا ورثت كثيراً من بغضى لهم . دعى عنك هذه الوساوس الصبيانية يا عزيزتى

— لا يا والدى ، ليس إلى إقناعي بالظهور أمامهم من سبيل

فرفع كتفيه ، وامتنع عن الحديث معها ، لأنه يعرف عناد ابنته حق المعرفة ، ثم قام إلي سريره ليستريح من عناء ما حدث له فى الصباح

* * *

دخلت ليزا غرفتها ، ودعت خادمتها ناشيا ، وجلستا تتحدثان عن هذه الزيارة . كيف ترين لو أن ألكسى جاءني ورأى أن أكولينا ليست إلا ليزا ابنة البارون ؟ ما ذا سيكون موقفي منه ؟ إنه ليسرني أن أرى وجه ألكسى مشدوهاً بهذه المفاجأة السارة. ثم قالت فجأة : « إنني أود أن أقوم بعمل غريب » وحدثتها به فسرت ناشيا كما سرت ليزا واتفقتا على تنفيذه !

فى الصباح سأل « مورمسكى » ابنته ليزا عما إذا كانت لا تزال مصممة على عدم الظهور أمام آل برستوف فأجابته قائلة : « بما أنك تريد ذلك يا والدى فانني سأظهر أمامهم ، على أن تقبلني فى أى شكل أظهر فيه ، وألا تعترض على ما سألبسه ساعة أجلس معكم فى الظهر » فأجابها ضاحكا من قولها : « وهل لديك غير هذا ؟ إفعلي ما تشائين . فانني راض عنك » ثم قبل ابنته فى جبينها وانطلقت إلى غرفتها تهيأ للمفاجأة

* * *

فى الساعة الثانية تماماً دخلت عربة قروية يقودها ستة من الخيول إلى داخل حديقة القصر ونزل منها برستوف العجوز فجاء إليه خادمان من خدام « مورمسكى » ورافقاه فى صعود درجات السلم العريض . ثم جاء بعده بقليل ابنه « ألكسى » ممتطياً صهوة جواده ، فدخل الاثنان غرفة الطعام ثم دخل عليهم مورمسكى وتلقاهم بالترحيب وأخذ يطوف معهم في حديقته الانكليزية الجميلة ، ويريهم مطبخه الفخم ، ويسير معهم على رقيق من الرمل الناعم جميل الهندسة . فقال برستوف وقد خفض من صوته احتراماً لشعور مضيفه : « ما أكثر الأوقات التى تضيعها فى هذه الأمور التافهة يا جارى العزيز » ، وكان ألكسى فى شغل عما هما فيه من الحديث ، كان يفكر فى ابنة مضيفه وما هي عليه من الجمال البارع الذى طالما سمع الناس يتحدثون عنه ، رغم أنه محب كاف لليزا ، فقد كان للجمال حظ أكبر من انتباهه

دخل الثلاثة غرفة الاستقبال ، وأخذ برستوف ومورمسكي يتحدثان عن ماضيهما وعن أيام الجندية وأخذ الكسي يفكر فى موقفه من ابنة مضيفه ليزا ، فقر رأيه على أن يظهر أمامها فى صورة تنم عن عدم الاكتراث ، ثم هيأ نفسه لذلك ، وفجأة سمع الباب ينفتح فدار رأسه ببطء وتكبر حتى لو أن أكثر نساء الدنيا تظرفاً وأنوثة رأته فى هذه اللحظة لارتجف فؤادها . ولكن بدلا من أن تكون الداخلة ليزا ، كانت مربيتها « مس جوكسون » وقد تعطرت وطلت شفتيها وخديها بالأحمر وغضت من طرفها ، ولم تكد تجلس فى مكانها حتى انفتح الباب ثانية ، وكانت الداخلة هذه المرة هي « ليزا » فوقف الجميع لاستقبالها وشرع والدها يقدمها إلى ضيوفه ، ولكنه وقف فجأة وعض على شفتيه ... ليزا ، ليزا الجميلة السمراء قد طلت وجهها حتى أذنيها بالأبيض ، وعيونها الجميلة أقبح من عيون مربيتها ، وهى مرتدية ثوباً كما كان يلبس الناس في أيام

« لويس الرابع عشر » فكانت فى جملتها كأنها حرف (×)، وقد وضعت فى جيدها وأصابعها وفى أذنيها حلى والدتها القديمة

أنى لصاحبنا الكسى أن يجد فى هذه الفتاة المضحكة عزيزته الجميلة أكولينا ؟ ثم قبل يدها المجوز پرستوف وفعل مثله ابنه الكسى ، ولكنه عندما وضع أصابعها الرقيقة على شفتيه أحس أنها ترتجف ، ولاحظ أن حذاءها ليس على تمام الانسجام مع بقية ما تلبسه

لم يستطع والد ليزا لما رأى ابنته على هذه الحال أن يمتلك نفسه ، ولكنه ذكر وعده لها فكظم غيظه ، ثم ما لبث أن انفجر ضاحكا . وأما مربيتها الانكليزية المتصنعة فى ملبسها وفى كل شىء ، فقد لازمت الصمت والوقار ولم تضحك ، وكانت متأكدة من أن ليزا قد استهلكت فى فعلتها هذه كل ما فى خزانتها من طلاء فاضطربت واغتاظت ، ولم يستر غيظها بياض الطلاء وكثافته فبدت وجنتاها حمراوين ، وأخذت تلقى على ليزا — الساهية فى هذه اللحظة — نظرات ملؤها الحنق ، ولكن ليزا لم تجبها ، إنها كانت تريد أن تؤجل الكلام فى هذا الموضوع إلى ما بعد خروج الضيوف

ولما جلسوا إلى المائدة ظل الكسى على ما هو عليه من عدم الاهتمام والذهول ، وأخذت ليزا تتعمد اللطف والتملق وتتكلم الفرنسية بأطراف شفتيها الرقيقتين ، وعلى مهل . كان والدها لا يرفع نظره عن وجهها ، وكان فى حيرة وذهول لا يدرى ما الذى دعا ابنته إلى تمثيل هذه المهزلة التى كانت رغم كل ذلك مسلية للغاية ، ولم يكن أحد من الحاضرين مسروراً كسرور « إيڤان پرستوف » الذى شرع يأكل أكل أربعة من الرجال الأصحاء ، ويشرب كثيراً ، وهو فى كل ذلك مسرور ! وأخيراً قام الجميع من حول المائدة ، وذهب الضيوف إلى منزلهم وخلا الجو لوالد ليزا ، فضحك ما شاء أن يضحك ، وسأل ابنته ماذا تريد من هذه السخرية التى قامت بها ثم قال : « إن اللون الأبيض لما يوافق جمالك وينسجم مع تركيب قوامك الجميل يا ابنتى ، وإن كان ليس لى حق التدخل فى زينة النساء ، ولكننى إذا كنت مكانك لما ظهرت إلا فى الأبيض من الثياب أو الطلاء والزينة » ولكن ليزا لم تجب والدها على أسئلته بل أخذت تصفق لنجاحها ، وتقبل والدها ، وهى تعده بأن تفكر فى نصيحته ثم راحت تخفف من ثورة مربيتها « مس جوكسون » التى امتنعت طويلاً عن أن تدخل ليزا إلى غرفتها أو أن تقبل معذرتها . قالت ليزا :

— إننى خجلت من أن يرى ضيوفنا لونى الأسمر ، ولم أجد متسعاً من الوقت ، فأطلب إليك السماح لى بتناول قليل من الطلاء ، ولكننى كنت متأكدة من أنك يا عزيزتى « مس جوكسون » ستصفحين عن زلتى هذه . فسكتت « مس جوكسون » وأخذت تقبل ليزا ، ثم أهدت إليها حقاً صغيراً من الطلاء الانكليزى الأبيض فقبلته مع إبداء الشكر الجزيل

أنا على يقين من أن القارئ سيوافقنى إذا قلت له إن ليزا خرجت فى الصباح التالى للقاء « الكسى » ولما رأته قالت له : « هل كنت البارحة عند البارون يا عزيزى ؟ كيف وجدت ابنته ؟ »

فأجابها الكسى بأنه لم ينظر إليها طويلاً ، وإنما لمحها لمحاً سريعاً ؛ فقالت ليزا : « إن فى ذلك أذية وضرراً » . فسألها الكسى :

— لماذا يا ترى ؟

— لأننى أحب أن أسألك هل صحيح مايقولون؟

— وماذا يقولون ؟

— إننى أشبه فتاة البارون

— معاذ الله ، إنها مسخ بالنسبة إلى جمالك الزاهي يا عزيزتى

— آه ؛ إن فى قولك هذا خطأ لا يغتفر ، إن فتاة السيد بيضاء ظريفة ، أما أنا ...

فأقسم الكسى بأنها أجمل من كل بيضاء فى العالم ، ثم أخذ يصف فتاة البارون بلهجة الساخر ليؤكد لها قبحها ، فلم تمالك ليزا من الضحك طويلا ثم تنفست الصعداء وقالت له : « كيفما كانت ياسيدى فاننى أمامها فلاحة جاهلة لا أعرف الكتابة والقراءة »

— وإن كان ذلك فليس فى جهلك القراءة والكتابة ما يحزن يا عزيزتى ، وأنا مستعد لأن أعلمك كل هذه الأشياء فى وقت قريب

قالت ليزا : هل نستطيع أن نجرب ذلك الآن؟

— « نعم ، هيا بنا » . ثم جلسا على الأرض وأخذ الكسي قلماً ودفتراً بيده ، وابتدأ يلقن أكولينا مبادئ القراءة فوجد أنها تتقنها بسرعة مدهشة ، فسر من ذكائها ؛ وفى الغد أحب أن يعلمها الكتابة فوضع القلم فى يدها ، ولكنه وقع من بين أصابعها اليسرى ، وبعد مضى لحظات استطاعت أن ترسم الحرف رسماً لا بأس به ، فقال لها : « إنها لأعجوبة والله ، إنك تتعلمين بسرعة مدهشة يا أكولينا » ؛ وبينما كانت ليزا تقف عن القراءة لحظات تفكر فى الكلمة التى تريد أن تقرأها كان الكسى يحس أنه فى غمرة هدوء عميقة وسعادة لا تدرك . وبعد ذلك أخذا يتراسلان، وكان صندوق البريد الذى اتفقا على أن يضعا رسائلهما فيه هو عبارة عن حفرة صغيرة فى سنديانة عجوز ؛ وكانت ناشيا خادمة ليزا تقوم بوظيفة ساعى البريد

كان الكسى يودع فى هذه الحفرة رسائل مكتوبة بأحرف كبيرة ، ويأخذ منها رسائل على ورق أزرق مكتوبة بخط مبهم ، ولكن كان يلاحظ أن كتابة أكولينا آخذة فى التقدم ، وإن ذكاءها ينمو يوماً بعد يوم نمواً محسوساً . وكانت علاقات إيفان برستوف مع جاره مورمسكى تزداد وثوقاً حتى انقلبت إلى صداقة متينة

كثيراً مافكر مورمسكى بأن ابن جاره سيرث أموال أبيه الطائلة ، وأنه سيصبح أغنى رجل فى الإقليم ، وأنه لا عذر له إذا لم يتزوج ابنته ليزا ، كما أن برستوف المجوز كان يفكر مثل تفكير جاره. وكان من أقارب مورمسكى «الكونت برفسكى» وهو رجل نبيل ذو يد طولى عند الحكومة، وفى استطاعته أن يساعد الكسى . وكان إيفان برستوف على تمام اليقين من أن جاره مورمسكى سيستبشر عند ما يفاتحه بخبر زواج ابنه الكسى من ابنته ليزا !

فكرا فى هذا الموضوع طويلاً حتى قيض لهما أن يتكلما فيه ، فوجد كل منهما أن صاحبه يريد مثل ما يريد هو ، فاتفقا على ذلك وتصافحا وهما يرجوان من الله أن يحقق أملهما السعيد . وأخذ كل منهما يمهد السبيل من الناحية التى تتعلق به ، فكان من الصعب على مورمسكي إقناع ابنته ليزا بضرورة التعارف مع الكسى الذى لم تره بعد ذلك النداء الجميل فى قصرهم ، والذى يظهر لنا هو أن هذين الشابين لا يروق لهما أن يجتمعا سوية ، فان الكسى لم يعد إلى قرية ليزا مرة ثانية فيزورها فى

القصر ، كما أن ليزا كانت تختبئ في غرفتها عند ما يزورهم « إيفان برستون » وكان مورمسكي يرى مجرد زيارات متواصلة يقوم بها ابن جاره الكسي كافية لأن تجعله محبباً من ابنته ليزا

أما إيفان برستوف فقد كان لا يشك في نجاحه مع ابنه ، وفي مساء يوم دعاه إلى غرفته ، وبعد أن أشعل غليونه ، وصمت قليلا قال له :

— منذ زمن طويل وأنت لا تكلمني في موضوع دخولك في الجيش . يخيل إليّ أنك لم تعد تحب ذلك ؟! فأجابه الكسي باحترام : « لا يا والدي إنني لم أمتنع عن الدخول في الجيش إلا لعلمي بأن ذلك مالا تحبه لي وإن من واجبي أن أطيعك » فأجابه والده إيفان : « حسن يا بني إنني جد مسرور من إطاعتك لي ، ولكني قبل ذلك أحب أن أزوجك » فسأله الكسي بدهش : « ممن تحب أن تزوجني؟ »

— « من ليزا مورمسكي . إنها خطيبة ليس لها مثل . أليس كذلك يا بني ؟ »

— ولكنني يا والدي لا أفكر الآن في الزواج

— فليكن ذلك ، لقد فكرت أنا فيه طويلاً فوجدت أن من الصالح لك أن تتزوج

— لك ما تريد يا والدي ، ولكن ليزا لا تعجبني

— ستعجبك في يوم من الأيام . إن الحب يا بني ينمو مع الزمن

— أشعر بأنني لا أستطيع أن أسعدها يا والدي

— ومن الذي يكلمك في سعادتها ؟ إنك بهذا الحديث ترفض إطاعة والدك

— سوف لا أتزوج منها ، ولن أتزوج مطلقاً

— بل ستتزوج منها رغم أنفك ، وإلا حل عليك غضبي ، وبعت كل ما أملكه من الأرض وأكلت الثمن ولم أترك لك درهماً واحداً . وإني أدعك تفكر في هذا الموضوع ثلاثة أيام على أن لا أواجهك أثناء ذلك مطلقاً

* * *

لم يكن الكسي يحسب أن والده صلب في رأيه إلى هذا الحد ، ولكن هو أيضاً قد ورث عنه هذا العناد ، فكان من الصعب أن يغير أحد رأيه الذي يراه . ثم دخل إلى غرفته ، وجلس يفكر في سلطة الآباء على أبنائهم وكيف أنه يريد أن يدعه فقيراً يتسول ، ثم فكر في ليزا ، وأخيراً في أكولينا ، وشعر للمرة الأولى أنه مأخوذ بحبها ، ثم خطر له أن هذه فتاة قروية ، وإنه إن رفض ما يدعوه إليه والده ، سيضطر إلى العمل حتى يكسب قوته

أقبل الشقاء ، فاخطر الكسي وأكولينا على الافتراق زمناً وكتب الكسي إليها رسالة فياضة بالشعر والحب ، وحدثها فيه عما يشعر به من الوحشة والأسى وختم الرسالة بقوله : « سنعيش سوية يا عزيزتي »

ثم ركض إلى حفرة السنديانة وأودع فيها رسالته ثم عاد إلى غرفته ونام وهو مسرور بما قام به

في صباح اليوم التالي ذهب الكسي إلى قصر جيرانه آل مورمسكي ، وكان يود من زيارته أن يحدث البارون حديث قلبه ، ويفضي إليه بمكنون سره ، ويخبره بأنه لا يود الزواج من ابنته ليزا ؛ وكان يأمل أن يقنعه بما يريد ، فأخذ يستجمع في نفسه عظمته وكبرياءه ، ليجعل منها تكأة يستعين بها على النجاح ، ثم أوقف جواده أمام سلم القصر وسأل عن السيد هل هو في غرفته ؟ فأجابه الخادم بأنه خرج باكراً وأنه لما يعد بعد . فقال في نفسه :

يا خسارتى ... إذن ليزا هل هى هنا ؟

— « نعم ياسيدى » فنزل ألكسى عن صهوة جواده . وترك زمامه فى يد الخادم ودخل دون استئذان، وخطر له وهو يتقدم من غرفة الاستقبال أنه فى هذه الغرفة سيحدد مستقبل حياته ، وعزم على مصارحة ليزا ، فلعل ذلك يكون أوقع فى نفسها وأيسر حلاً

ثم دخل ... ولكنه وقف حائراً ... ليزا ... لا ! أكولينا ياعزيزتى أكولينا ، يا سمراء اللون أين الملاءة الزرقاء؟ أين الطلاء الأبيض ؟ إنها جالسة أمام النافذة تقرأ رسالتى

كانت ليزا فى ذهول عميق حتى أنها لم تسمع وقع أقدام ألكسى وهو داخل عليها ، فلم يستطع ألكسى أن يخنق فى حنجرته صيحة ذعر وفرح، فوثبت ليزا فى مكانها ، وصاحت مذعورة ، ثم انطلقت تود الهرب، ولكن ألكسى ركض وراءها وقبض عليها وهو يقول :

— « أكولينا ... أكولينا » فأجابته هذه بالفرنسية : « دعنى ، مالك ، دعنى ، هل أنت مخبول ؟ » قالت ذلك وهى معرضة عنه بوجهها ؛ فأجابها وهو يقبل يديها : « أكولينا ، يا عزيزتى أكولينا ! »

كانت « مسز جوكسون » واقفة تشهد هذا الحادث الغريب، ولكنها لم تر بماذا تعلله . وفى هذه اللحظة انفتح باب الغرفة ، ودخل والد ليزا ، مورمسكى وهو يقول :

— آه ... آه ... يخيل إلىّ أن المشكلة قد انحلت !

واسمح لى يا قارئى المحبوب أن أتركك هنا ، وأن أدعك تفكر فى النهاية دون إرشادى

« بيروت » عز الدين العنزى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠	السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠	كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد